المرأة العربية

رأينا أن الحركة النسوية قفزت قفزتها الجبارة ، خلال القرن العشرين ، بنتيجة الثورة الصناعية ، وتأثير الحربين العالميتين ، والثورة السوفياتية الكبرى ، الى جانب نضال الاحزاب الاشتراكية والشيوعية في اكثر بقاع العالم الغربي ، ولكن هذه الاحداث الضخمة بقيت عديمة الاثر ، أو شبيهة بذلك ، في البلدان العربية عامة ، فلم تتقدم القضية النسوية فيها تقدماً يذكر . والظاهر أن هناك أسباباً غير التقاليد والعادات والخصائص والصفات ، كانت ولا تزال تحول دون تقدم هذه الحركة ، وتعمل على الحد من نشاطها ، ذاك اننا ربما كنا ما نزال نرسف في قيود الاقطاع .

فهذا الاقتصاد الأشل في البلاد العربية ، الذي لا ييسر لكل الرجال عملاً ، فضلاً عن النساء ، وهذا التعامل الحقوقي الملتوي الذي لا يؤمن المساواة بين الرجال أنفسهم ، فضلا عن المساواة بين الجنسين ، وهذه المعروفة البغيضة التي يرددها الاستعمار : الشرق شرق والغرب غرب ، ويجد في العرب آذاناً تصغي ، وجوقة تردد ؛ كل هذه أسباب صحيحة تمنع تقدم قضية الحرية : نعني قضية المرأة .

ولكن الاستعمار بدأت ظلاله تنحسر عن الشرق العربي ، وخلصت سوريا ولبنان نهائياً من النفوذ الاجنبي ، وتوطد نظامهما

الجمهوري الحر، بفضل الوعي الشعبي المتصاعد في كلا البلدين. فأصبح الواجب الوطني الآن، يهدف توجيه النضال العملي الى تثبيت وضعها السياسي داخلياً وخارجياً.

إن قضية المرأة العربية في سوريا ولبنان، تتصل بمجموعة القضايا المعقدة التي تستدعي المعالجة والحل في كل من البلدين. وليس من شأننا أن نعرض لكافة المشاكل الاجتماعية التي تواجهها البلاد، إنما سنرى الى المشكلة التي أخذنا على انفسنا معالجتها في دراستنا هذه.

رأينا فيما سبق، أن الاسلام أعطى المرأة العربية حقوقاً، ربما لم تنلها الغربية حتى القرن العشرين، ورأينا كيف أن المرأة لم تفد من أحكامه السمحة فائدة كبيرة.

وواقع المرأة العربية اليوم شيء لا تحسد عليه: فالرجل يخشى تعليمها، ويكرهها على الزواج بمن يحب، وقد يحرمها حقها في الارث، ويفرض عليها الحجاب، ويمنعها من ممارسة ابسط الحريات.

ويتطوع لدعم هذا الواقع والذود عنه، جماعة الرجعة والتواكل، عبيد الماضي، وأسارى العادات، مؤمنين بأن ما كان يجب أن يكون، جاهلين أنهم يسيئون بذلك الى كرامة الفكر، ومصلحة الامة.

فلا تعرض قضية تحرير المرأة العربية، الا ويبرز أعداء المساواة يحشدون الأدلة والبراهين على استحالة هذا التحرير. فالمرأة في عرفهم، ناقصة عقل وخلق، تميل إلى الزينة والتبرج، وتسرف

في مال الرجل ، وتتصف بالمكر والدهاء ، تصطنع الدسيسة ، وتجود حبك الحيلة ، وهي غير أمينة على طفلها ونفسها ، ولعل الخيانة طبع فيها ! . . .

إن هذا الضرب من المنطق المريض ، من شأنه أن يخلق جواً من النفرة والعداء والحذر بين الجنسين ، وقضية المرأة ليست قضية نزاع وخصام ، إنما هي قضية التعاون المشترك في سبيل انشاء الامة السوية .

ونحن لانفهم كيف تحس المرأة بالمسؤولية مادام الرجل لا يأتمنها على شأن من الشؤون . ثم لاندري كيف لاتميل المرأة الى تزيين جسدها ، في حين أن الرجل حرمها تزيين النفس بفضائل العلم والمعرفة والعمل . وكيف لاتمعن تبذيراً في مال الزوج ، مادامت تفكر بأنها تحل من عصمته بمجرد لفظه الطلاق .

لا ، فهذه الصفات التي يمكن أن لاتبرأ المرأة من بعضها ، ليست أصيلة فيها ، وإنما هي من صنع الرجل ، ونسج التاريخ . ولشد مانحن بحاجة الى اعادة النظر في كثير من الصور السلوكية التى نتبعها إزاء المرأة ، نرى بعد هذا التغيير ، كيف تكتسب المرأة صفات الصراحة والجرأة ، وكيف تشعر بالكرامة والمسؤولية .

إن أولى المصاعب التي تحول دون تحرر المرأة ، إنما هو الجهل ، ويرى حماة هذا الداء العياء ، ان علم المرأة يسوقها إلى التبذل والاستهتار ، ولكن المشاهدات تثبت أن الحق عكس مايزعمون

فالثقافة عنصر هام يعمل في تكوين الشخصية، كما أن معرفة الخير مدعاة إلى فعله. وعلم المرأة أصبح ضرورة لاجدل فيها، فالحب الضروري في بناء الاسرة ليس انجذاباً غريزياً يشد الجنسين إلى بعضهما، وإنما هو فوق ذلك صلة تشترك في تكوينها الرغبات والعادات وطرق التفكير وصور السلوك، والظاهر أن هذا التجانس المعنوي شرط أساسي في بناء الاسرة الفاضلة.

والثابت من جهة مقابلة، أن الطفل إنما تصوغه إمه، تصوغ جسمه وعقله: اذ هو يرث عنها، استعدادها الجسمي، ومؤهلاتها الذهنية. وعن ذلك أيضاً يجب توجيه الفتاة في المدرسة توجيهاً حسناً، وتوفير التربية البدنية والنفسية لها، والعزوف عن هذا الذعر الوحشي الذي لامبرر له. عند ذلك تستطيع المرأة المتعلمة أن تقوم بواجبها كأم وزوج، أكمل قيام.

ومن القضايا التي تعمل تهديماً في الكيان الاجتماعي، هذا الاستهتار المقصود في صياغة القوانين التي تنظم هذه العلاقة المقدسة: رابطة الزواج. فكم يؤذي النفوس الكريمة أن يعرف النكاح في فقهنا بأنه «حل استمتاع الرجل بامرأة على وجه تسوغه الشريعة». في هذا التعريف تنفخ ريح التجارة والنهم الجنسي، وهو يجعل المرأة أداة للاستمتاع ووسيلة لارضاء الغريزة.

أليس من الغريب أن يعطى الزواج هذا التعريف المسيخ، بينما أعطانا القرآن الحكيم عنه، فكرة سامية أفادت منها أكثر تشاريع

الامم الحديثة : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ».

ياعجباً لهؤلاء الفقهاء ، أو لم يجدوا في هذه الالفاظ الكبيرة : « من أنفسكم ، تسكنوا اليها ، مودة ورحمة » شيئاً يوحي لهم بوضع تعريف غير ماسلف .

وبعد فللتعريف أثره البعيد في بناء الاحكام والروابط ، وهو هنا يجعل الزواج عقد سيادة : الرجل فيه العنصر الفاعل ، والمرأة العنصر المنفعل .

اننا ندعو الى زواج قوامه الحرية والكرامة ، غير مشوب بالتجارة أو الاكراه ، وإنما يهدف بناء الاسرة ، وتقويم التربية ويجب أن تعطى الفتاة حرية ابداء الرأي في الزوج ، لايمنعها عن ذلك أدب مصطنع ، أو حياء مريض ، أو عرف جامد .

لقد قال الرسول لانصاري أخبره بخطبته امرأة لم يرها : « أنظر اليها فانه احرى أن يؤدم بينكما » . فلم لا نفسح صدورنا لمثل هذه العادة التي أقرها الاسلام قبل أربعة عشر قرناً ؟ !

وهذه السهولة في فصم عقد النكاح ، من أخطر الامراض التي تهدد الكيان القومي ، والتي ينشأ عنها كثير من الآلام يعانيها الافراد . والطلاق مادام حادثاً واقعاً ، فينبغي أن يصبح عملا ، لا قولا ، فتتدخل الحكومة بحله ، وترتب على الراغب في التملص من عقد الزواج ، وجائب مالية شديدة ، ان لم يكن محقاً . واننا اذ نسوق ذلك ، يمكن أن يعرف رأينا في طلاق المكره ، والهازل ، والمغضب والمجنون والسكران ! .

أما التعدد ، الذي تبين خطره الجسيم في معرض الحديث عنه ، فندعو الى تدخل الشارع فيه ، وعدم السماح به ، الا في حالات شاذة ، كثبوت أن الزوجة الاولى عقيمة مثلاً ، أو أنها لا تستطيع تحمل أعباء الواجبات الزوجية ، أو غيرها من هذه الاسباب الملجئة فقط .

والحجاب ، تلك العادة الشائعة لدى بعض الاقوام الشرقية ، كم كنا نود لو لم نتعرض له ، فهذه الضجة المصطنعة التي تثار حوله ليس لها ما يبررها . . . إننا لا نرى فيه سوى ظاهرة بسيطة لنظام الابوة المتصف بسلطة الرجل وسيطرته ، واعتزال المرأة الحياة العامة ، وبعدها عنها . وليس الغريب أن يشيع الحجاب خلال هذا النظام الابوي ، وانما الغريب الا يظهر ويشيع . لقد نشأت ظاهرة التحجب مع نشوء ظاهرتي التسري والتعدد ، ورافقتهما ، بل لقد كانت أثبت منها ، لان الحجاب أجلى مظاهر نفوذ الرجل وخضوع المرأة .

واعتاد الباحثون في القضايا الاجتماعية إذا عرضوا للحجاب ، أن يتلمسوا الآيات الكريمة ، يدفعون بها زعم القائلين : بان الحجاب من أوامر الدين والشرع . وهم يذهبون الى أنه عادة دخيلة على العرب تسربت اليهم من الاقوام الاخرى . وتفاوتت آراؤهم واختلفت حين بحثوا الحجاب في الجاهلية ، اذ أكد بعضهم شيوعه مستنداً الى بعض ابيات من الشعر ، وأكد آخرون

انتفاء ، معتمدين أيضاً على مجالسة المرأة الرجال ، وعلى الروايات الواردة والوقائع المنسوبة . أما هذا التباين في الرأي فناتج عن فقدان المبادىء العلمية الصالحة ، لفهم الاحداث التاريخية .

لقد قلنا ان الجاهلية كانت مرحلة انتقال من نظام الامومة الى نظام الابوة ، وانها شهدت آثار النظامين ، فطبيعي جداً أن تظهر فيها عادة التحجب ، كنتيجة تسلط الرجل ، أو شروعه بالتسلط على المرأة . وموقف الاسلام من هذه الظاهرة ، كان كموقفه من جميع أمور المرأة ، كريماً سمحاً . والقرآن الكريم يحض على العفة ، وكرم الاخلاق ، وعدم التبذل ، غير أنه لم يقل قط بالحجاب . وليس من المعقول أن يدعو الاسلام إليه ، بعد ما منح المرأة من الحقوق مامنح . أما اختلاط العرب بالاعاجم فكان فرصة اتاحت لنظام الابوة أن يمد ظلاله على الامة العربية . ونحن فيما نقول لانلقي الكلام جزافاً ، وانما نستند الى مسلمات تاريخية صحيحة ، والى قوانين تفسر التطور الطارىء على المجتمع البشري :

لقد كانت نساء اليونان يستعملن الخمار ، واذا خرجن كن يخفين وجوههن بطرف منه .

والكنيسة أمرت بالخمار اذا خرجت المرأة في الطريق ، أو حضرت الصلاة . وفي أوروبا كان الخمار شائعاً في القرون الوسطى ولم تخف وطأته حتى دخول القرن الثالث عشر ، واسبانيا وأميركا اللاتينية حافظت عليه الى مابعد ذلك .

وبعد ، فهل يبقى مجال للقول بأن الحجاب عادة أصيلة او عادة دخيلة ؟ ! انه ظاهرة اجتماعية ، عرفت في فترة معينة من التاريخ وهي عصر الابوة والرق ، لدى كافة الشعوب على السواء .

هكذا نحب أن ندرس الحجاب الذي يقف اليوم حائلاً دون التقدم الاجتماعي والفكري ، فحري بنا ان نعمل على التخلص من هذه العادة التي اصبحت عبئاً على الامة . أما حجج القائلين بان السفور يفسد الخلق ، ويساعد على انتشار الرذيلة ، فحجج واهية ، وعكسها أصح ! . . ان اشتراك المرأة في الحياة العامة ، ومساواتها بالرجل كفيلان بتحطيم هذه القيود ، التي لاتزال المرأة ترسف فيها . إن عهداً من الحرية والكرامة ينتظر المرأة العربية .

وتعرض أخيراً مشكلة إعطاء المرأة حقوقها السياسية . فيرى المعارضون أن المرأة العربية تجهل حاجات البلاد الاقتصادية ، وطرق اصلاحها ، ولاتفهم أحداث العالم السياسية وتطوراتها العامة . ولكن الجهل داء يحيق بأكثر أبناء البلاد رجالاً ونساءً ، والدعوة الى التخلص منه أصبحت من باب الحديث المعاد ، واذا استوى الجنسان فيه ، فلمَ يعطى أحدهما الحقوق السياسية ويحرم منها الآخر ؟ ثم كيف يستقيم ان تحرم ألوف المثقفات في سوريا ولبنان من أبسط الحقوق السياسية وهو حق التصويت ، بينما نجد في الندوات النيابية نفسها أعضاء ممن لايحسنون قراءة حرف .

ليس من الرأي أن تعطى الحقوق السياسية للرجال دون النساء ، ولفئة منهن دون فئة ، أو تزاد اصوات المثقفين ، مراعاة لدرجة

الكفاءة العلمية . . . فهذه حلول من شأنها، خلق التنافر الطبقي والتحزبات البغيضة في المجتمع . إنما الواجب أن تمنح هذه الحقوق للجميع على السواء ، مراعاة للمصلحة القومية ، ومسايرة لمبادئ العدالة والمساواة ، واندفاعاً وراء التقدم والازدهار . لقد اثبتت تجارب الامم الفائدة الكبرى التي تجنى من اعطاء المرأة حقوقها السياسية ، فلمَ لانفيد من هذه التجارب الضخمة لدى الامم الاخرى ! .

هذا ، مع ملاحظتنا أن الحقوق السياسية الممنوحة للافراد ، رجالا كانوا أم نساء ، تبقى صورية ، غير جديرة بالاعتبار ، إن لم تتحقق معها أمور كثيرة أخرى ، كتحسين البلاد اقتصادياً وضمان العمل للجميع ، ونشر التعليم المجاني الاجباري بين جميع طبقات الشعب ، وغيرها من هذه الاوضاع المنظمة على أسس العدالة والحرية ، والمساواة .

وبعد ، فهذا ماأردنا الى اثباته في هذه الدراسة الموجزة ، داعين الشباب المستنير في الامة، الى اطراح الطريقة الفاسدة التي تعالج بها أكثر قضايانا العارضة ، هذه الطريقة التي كانت علة تأخر الغرب قبل النهضة ، والى السير في السبل التي ينيرها البحث العلمي الهادي ، لسن أحسن التشاريع الضامنة حقوق الافراد والجماعات المؤمنة للجميع عملاً ، المؤمنة للجميع مساواة، والفارضة احترام حرية كافة المواطنين .

ولسنا ننسى ، ونحن ندعو إلى الثورة في حياتنا التشريعية والحقوقية ، أننا أبناء أمة ، شعت عن جنبات أرضها أنوار المعرفة والهدي قروناً طويلة ، وحملت للعالم رسالة الانسانية والتسامح والاخاء ، كما علمت الناس أخلاق الفروسية من عفة وحمية وشجاعة ، وهي ماتزال غنية بامكانياتها ، عظيمة بقدرتها ومهيأة نفسياً وتاريخياً لتكون مبعث اشعاع للفكر ، ومجلى للنور .

ونحن إذ نقرر ذلك ، فاننا على مثل اليقين ، بأن الفكر العربي الذي يدرك الاتجاه الصاعد الذي تسلكه الانسانية في سيرها الحثيث نحو العدالة والحرية والمساواة ، سوف لن يرضى بحياة التواكل والجمود واللامبالاة ، بل سيندفع الى الخلاص من قيود الرجعة ، ليخلق غداً عظيماً ، يكون امتداداً رائعاً لماضيه العريق ، وهكذا تسير الامة العربية كما كانت ، وكما يجب أن تكون دوماً في الطليعة . . .

أخطاء مطبعية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	٨	عثمان	عثمان
٨	١٧	للأحداث	للأحداث
١٤	٩	الدعاوي	الدعاوى
١٧	١٠	وزي	وزى
٣٢	٦	فأحرقتها	فأحرقتها
٣٨	١٢	فبضعة	فبضع
٥١	٣	صفايه	صفاته
٦٢	١٧	تقبلوا	تقبلوا
٨٢	٩	عدى	عدا
٨٤	١٣	عصر ابوة	نظام الابوة
١٠٧	٢	يكافي	يكافى
١١٤	٥	حطمو	حطموا
١١٦	٩	عدى عن	عدا
١١٦	١٥	الروتستانتي	البروتستانتي
١٢٥	١٢	معروفة	معزوفة
١٢٩	٣	الفاط	الفاظ

obeikandl.com